افتراءات جوسكاف لوبون
حول القرآن الكريم وما يتعلق به
Guscaff Le Bon's Fabrications about the Noble Qur'an and What is Related to it

إعداد
ساري دلف علي
Asst. Instructor. Sari Dalaf Ali

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن الكريم
اللقب العلمي / مدرس مساعد
امام وخطيب جامع سيدنا سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه

رقم الهاتف ٠٧٨٣٢٨٧٤٣٨٠
البريد الالكتروني/sarydlf078@gmail.com
نشاط سنوي

١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م

المستخلص

عند تتبع التاريخ، يتضح أن الإسلام واجه على مر العصور العديد من الهجمات التي سعت للنيل منه، وتشويه صورته، وإضعاف مكانته. ومن بين أخطر هذه الهجمات تأتي حركة الاستشراق، التي دفعتني لإجراء هذه الدراسة بغرض الرد على بعض الافتراءات التي طرحها أعلامها وأساتذتها. وقد لفت انتباهي الدفاع الذي قدمه بعض العلماء عن المستشرق جوستاف لوبون، واعتباره أحد المستشرقين المنصفين والمعتدلين، إلى جانب الإشادة الكبيرة بكتابه حضارة العرب. دفعني هذا الإعجاب إلى الاطلاع على هذا العمل المشهور، مع تركيز خاص على ما كتبه لوبون عن القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ. لكنني وجدت أن الكتاب يمزج بين المدح والذم، فهو تارة يعظم مكانة القرآن الكريم، وتارة يقلل من شأنه، وحينًا يظهر إعجابه بشخصية النبي ﷺ، وحينًا آخر يصفه بصفات سلبية مثل الهوس أو ربطه بمرضى النفوس. لذلك، قررت تناول الشبهات التي وردت في هذا الكتاب حول القرآن الكريم بالبحث والدحض. تكمن أهمية هذه الدراسة في ضرورة تفنيد افتراءات المستشرقين عن القرآن وما يرتبط به، بهدف توضيح الحقائق للقارئ وإزالة اللبس الذي سعى بعض المستشرقين، سواء كانوا جهلة أو متعمدين، إلى نشره. وستقوم الدراسة بعرض افتراءات لوبون حول القرآن الكريم وتحليلها وتفنيدها بشكل دقيق، إذ لم أجد دراسات تناولت هذا الجانب تحديدًا بالتفصيل والتركيز على افتراءات لوبون.

Abstract

The follower of history finds that Islam has been subjected to several attacks trying to undermine it, and to overthrow its flag, and distort its image and one of the most dangerous of these attacks was (Orientalism) and this study came in an attempt to counter some of the fabrications of its flags, and its professors, as it drew my attention to the defense of some scholars for the orientalist

(Gustave Le Bon and considering him one of the elite orientalists fair moderate, and their great admiration for his book (Arab Civilization I decided to see that famous book; and I was keen to read what is related to the Holy Qur'an and the Prophet - may God's peace and blessings be upon him - 1 and I found that he is trampling Sometimes it magnifies the importance of the Holy Qur'an, sometimes it belittles it, weakens its status, and sometimes expresses its admiration for the person of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him). And at other times he vilifies him and makes him obsessed, and the companion of sick souls, so I resolved to address the suspicions of this book related to the Holy Qur'an by refutation and refutation. The importance of this topic stems from the need to refute the fabrications of orientalists about the Holy Qur'an and what is related to it in order to remove the blur from the same reader, and to clarify the facts that orientalists, whether ignorant or tendentious tried to hide, by presenting Le Bon's fabrications, and then refuting them one by one.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد عباده الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعد:

إن المتتبع للتاريخ يجد بأن الإسلام تعرض لعدة هجمات تحاول النيل منه، وإسقاط رايته، وتشويه صورته ومن أخطر هذه الهجمات كان (الاستشراق) وجاءت هذه الدراسة في محاولة لرد بعض افتراءات أعلامه، وأساتذته، إذ لفت انتباهي دفاع بعض العلماء عن المستشرق (جوستاف لوبون وعده من صفوة المستشرقين المنصفين المعتدلين، وإعجابهم الكبير بكتابه (حضارة العرب فقررت الاطلاع على ذلك السفر الشهير؛ وحرصت على قراءة ما يتعلق بالقرآن الكريم والنبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ١ فوجدت أنه يدس السم في القسم؛ فتارة يعظم شأن القرآن الكريم، وتارة يقلل من شأنه، ويضعف منزلته، وحينا يبدي إعجابه بشخص النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ، وحينا آخر يذمه ويجعله مهووسا، وقرين مرضى النفوس فعزمت على تناول شبهات هذا الكتاب المتعلقة بالقرآن الكريم بالدحض والتفنيد.

تنبع أهمية هذا الموضوع من ضرورة تفنيد افتراءات المستشرقين حول القرآن الكريم وما يتعلق به بهدف إزالة الغشاوة عن نفس القارئ، وتجلية الحقائق التي جهد المستشرقون جهلة كانوا أو مغرضين في إخفائها؛ وذلك عن طريق عرض افتراءات لوبون ، ومن ثم تفنيدها واحدة واحدة.

ولم أقع على دراسة تناولت هذا الموضوع من ناحية تسليط الضوء على افتراءات لوبون حول القرآن وما يتعلق به؛ ولكنني وجدت دراسات تناولت الحديث عن كتاب (حضارة العرب بشكل عام؛ مع نقد بعض الجوانب فيه؛ وهي:

أبو خليل شوقي غوستاف لوبون في الميزان.

عبد الباسط بدر (١٩٨٠م)، حضارة العرب تأليف: غوستاف لوبون ..

مجلة عالم الكتب.

أحمد محمد جمال (١٩٨٨م)، جوستاف ليدون وحضارة العرب، مجلة التضامن الإسلامي.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة فتمهيد فثلاثة مباحث وفرع وخاتمة كما يأتي

المقدمة عرضت أهمية الدراسة وهدفها والدراسات التي سبقتها، والتمهيد عرض نبذة مختصرة عن لوبون وكتابه.

محتوى:

و المبحث الأول: كان في الرد على افتراءات لوبون حول مصدر القرآن وفيه المطلب الأول: حول زعم لوبون أن النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تلقى القرآن من راهب نسطوري

المطلب الثاني: زعمه أن أصل القرآن من الكتب المقدسة

المطلب الثالث: زعمه أن أصل القرآن من عند النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ثم المبحث الثاني: كان في الرد على اقراءات لوبون حول نزول القرآن والأسلوب

و المبحث الثالث: الرد على اتهام لويون القرآن بالجبرية و فرع فيه تنبيه على ما قاله لوبون حول جمع القرآن

وأخيرا؛ الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

تمهيد

نبذة عن غوستاف لوبون وكتابه (حضارة العرب)

الدكتور غوستاف لوبون أو ليبون): هو طبيب ومؤرخ وفيلسوف من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين ولد في سنة ١٨٤١م؛ وذلك في القرن الذي كانت فيه فرنسا في أوج توجهها واهتمامها بدراسة حضارة العالم الإسلامي وعلومه؛ إذ أنشأت الجامعات والمعاهد والمدارس المختصة بدراسة اللغات الشرقية، وأديان الجزيرة العربية، في فرنسا وفي بلاد الشرق، وزودت معظمها بالمكتبات والعلماء والمطابع وأصدرت الكثير من المجلات والكتب باللغة الفرنسية وغيرها) [١]: لقد كان هذا التوجه الفرنسي كفيلا بجعل لوبون مهتما بدراسة الحضارات الشرقية، والتخصص فيها. بعد البعض لوبون من المستشرقين المنصفين إلى حد بعيد)[٢]، فقد دافع عن حضارة العرب، واعترف بفضلها على الحضارة الغربية اللاحقة، وانتقد سياسة القمع التي مارستها الدول المستعمرة على العرب، وهذا من أعظم المحاسن التي تعترف له بها في كتابه، وهي التي أدت بكثير من الغربيين إلى عدم الرضا عنه، ولا النظر إليه نظرة تقديرا لعلمه)[٣]. توفي سنة ١٩٣١م.

ألف لوبون في الحضارات كتبا كثيرة منها حضارات الهند، الحضارة المصرية، وحضارة العرب في الأندلس، وحضارة العرب وهو ميدان بحث هذه الدراسة، ترجمه إلى العربية عادل زعيتر، وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة . الأولى عام: ١٩٤٥م، والثانية عام : ١٩٤٨م، والثالثة عام: ١٩٥٦م[٤].

---

(١) ينظر: الحقيقي، تجيب المستشرقون، طاء دار المعارف، القاهرة (١/١٣٨-١١٢)، وينظر : نصري، أحمد، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية، ما ام، دار القلم، الرباط ٢٠٠٩م (٢٥-٢٠)

(٢) ينظر استودارد، لوترون حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض تعليقات الأمير شكيب أرسلان، ط٣ لاب دار الفكر القاهرة، ١٩٧١ (١/١٥٥)) ينظر الساعي، مصطفى الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق (٨٩)، وينظر : أحمد محمد جمال (١٩٨٨م)، جوستاف لبيون وحضارة العرب مجلة التضامن الإسلامي المجند (١٢) ١٢٣ وينظر أو حليل شوفي غوستاف لوبون في الميزان، ماء دار الفكر دمشق ١٩٩٠م، (١٣)

(٣) ينظر الساعي الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (٨٠).

(٤) بنظر: ستودارد، حاضر العالم الإسلامي (١/١٥٥) ينظر الحقيقي المستشرفون (١/٢٠٢)، وقال فيه: احضاره العرب صدو في باريس ١٨٨٤م، ولا قيمة علمية له وحبذا لو ذكر المؤلف ما الكتاب، وما عليه بالدليل والبرهان بدلا دمه وينظر: أبو خليل غوستاف لوبون في الميزان (١٣)

نال (كتاب حضارة العرب) الذي ألف سنة ١٨٨٤ م[١]– شهرة واسعة، وعده كثير من الباحثين شهادة إنصاف من عالم كبير منصف، وما زال الدارسون والمؤرخون يحتجون به ويسوقون شواهدهم من عباراته؛ إذ يبحث هذا الكتاب تاريخ الحضارة العربية قبل الإسلام وبعده، ومنجزات العرب في شتى الميادين، وأثرها في الحضارات اللاحقة، ويبين أسباب عظمتها، وعوامل انحطاطها.

يتميز هذا الكتاب بأنه مهم من جانب، وخطير من جانب آخر [٢]، فهو مهم لأنه يعد من أوائل ما كتب المستشرقون في إنصاف الحضارة العربية، وهو خطير لأنه لم ينصف العقيدة الإسلامية؛ فقد رماها بالعجز، وعدم القدرة على مواكبة مستجدات العصر، كان مؤلفه ينتقل من أقصى المديح لحضارتنا إلى أقصى الدم العقيدتنا، ومن قمة الإيجابيات إلى حضيض السلبيات، وهذا ما يعرف بالتسلل الفكري [٣]، وقال أيضا من القرآن الكريم، ومن رسولنا عليه الصلاة والسلام بكثير من الأخطاء والهفوات التي سجلها عن حسن نية أو سوء طوية.

ومن المأخذ التي تسجل عليه أيضا كونه خاليا من التوثيق التاريخي للأحداث [٤]، فكثيرا ما ما يقول مؤلفه وروى مؤرخو العرب [٥]، أو وروى المؤرخون [٦]، أو وتقول القصة العربية [٧]، وكان الأخرى به توثيق كل شاردة وواردة من كتب ومصادر العرب، وهذه المأخذ لا تنقص من قيمة الكتاب التاريخية .. ان حقيقة حضارة العرب.

ويقول: فليس في عامية القرآن ولاهوتيته الصبيانية، التي هي من صفات الأديان السامية أيضا، ما يقاس بنظريات الهندوس التي أتيح لي أن أبين عمقها العجيب في كتاب آخر[٨].

يحاول لوبون عن طريق ما استعرضنا من حديثه أن يجعل الكتب المقدمة أصلا للقرآن، وأنه مجرد آثار من اليهودية والنصرانية، ولم يفكر لوبون حين القي فريته هذه جزافا – بالكيفية التي تلقى فيها النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم – التوراة والإنجيل، وهو أمي؛ فكيف تمكن من الاطلاع عما في الكتب المقدسة، مع العلم أنه لم يكن يتقن غير اللغة العربية، ولم تكن هناك

(١) ينظر أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان (٤٩)

(٢) ينظر: عبد الباسط بدر (١٩٨٠) حضارة العرب تأليف: غوستاف لوبون مجلة عالم الكتب، المجلد (١)، العدد (٢)

(٣) ينظر: العاني، عبد القاهرة الاستشراق والدراسات الإسلامية، ما ام، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠ (٥٩)

(٤) أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان (١٦٧)

(٥) لديون غوستاف حضارة العربية، ترجمة: عامل زعيار ، ام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.

(٦) المصدر نفسه، (١٥٣)

(٧) لوبون ، حضارة العرب ، (١٥٩)

(٨) لوبون ، حضارة العرب ، (١٢٥)

نسخة مترجمة عن الكتب المقدمة في الجزيرة العربية آنذاك [١]، وقد أجمع المسلمون على عدم معرفته القراءة والكتابة[٢]. ولم يتتلمذ على يد خبر يهودي ولا راهب نصراني في حياته البتة، كما كما تقرر في المبحث السابق [٣]

ظن لوبون وأمثاله أن القرآن اقتبس من التوراة؛ وذلك لما بينهما من تشابه في بعض المواضيع مثل الحديث عن خلق السموات والأرض، وخلق آدم والجنة وغيرها، إن وجود هذا التشابه مما لا يشك بصحته؛ فالقرآن الكريم وما سبقه من الكتب السماوية خرجت جميعها من مشكاة واحدة، وتعد دليلا على وحدانية من أنزلها سبحانه وتعالى وأوحى بها للأنبياء عليهم السلام، وبما أن مصدرها واحد؛ فلا بد من وجود تشابه فيما بينها في ما يتعلق بالأمور الأخروية والغيبية والخطوط الرئيسة للأحداث التاريخية، وأما التفاصيل الأخرى في الكتب المقدسة، فلا نجد من تشابه بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم لما طرأ عليها من تحريف يتغير وكعادة لوبون وغيره من المستشرقين يقع في التناقض؛ إذ يقول بعدما ساق فريته والحق أن اليهودية والنصرانية والإسلام فروع ثلاثة الأصل واحد، وأنها ذات قربي وشيجة [٤]

إذن فهذه الأديان كما بينا – متشابهة لأن مصدرها واحد؛ وليس لأن القرآن مأخوذ منها، أو تعاليم الإسلام مستمدة منها.

ولو سلمنا جدلا أن القرآن أصله من الكتب المقدسة، وهو مقتبس من التوراة؛ فيم نفسر ما فيه من آيات تخالف أساسيات ما قامت عليه الديانتين اليهودية والنصرانية، وبم تفسر اختلافه عنها بالنظم والأسلوب [٥]؟؟

إن من الحقائق التي لا يمكن للوبون وأمثاله إنكارها أن الديانة اليهودية ليست عالمية، واحتكرها أهلها لأنفسهم، وظنوا أنهم شعب الله المختار، وأن اليهود في الجزيرة العربية لم يتمتعوا بالمستوى الثقافي الذي يؤهلهم للتأثير بالإسلام والقرآن [٦] يقول لوبون: لم يكن لليهود فنون، ولا

---

(١) ينظر إسماعيل محمد الاستشرافي بين الحقيقة والتضليل (١٩٧–١٩٨)

(٢) ينظر الحاج، تقلد الخطاب الاستشرافي (٢١٥)، وينظر : أبو ليلة، محمد القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي

دراسة نقدية تطلياية ما، أم دار النشر للجامعات القاهرة ٢٠٠٢ (١٠٥)

(٣) ينظر: الصفحة (٥–٦) من هذا البحث.

(٤) لوبون، حضارة العرب (١١٨)

(٥) ينظر: أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان (١٢١)، وينظر المطفي، عبد العظيم إبراهيي افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، ما ام مكتبة وهدة، القاهرة ٩٩٢ اب (١٣) وينظر : إسماعيل محمد المصدر نفسه (٢٠١–٢٠٢)

(٦) ينظر : الحاج المصدر نفسه (٢٨٠) ٢٨٧)

علوم، ولا صناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يأتوا قط بأي مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية، واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ(١).

فكيف يدعي لوبون بعد هذا أن القرآن تأثر باليهودية، وهو الذي أثبت بنفسه أن اليهودية لم تحدث أي تأثير في جزيرة العرب قبل الإسلام ؟؟

مما لا شك فيه أن هناك فروقا جوهرية بين القرآن وسائر الكتب السماوية فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى وكلامه لفظا ومعنى (٢)، ومحفوظ بأمره يقول – سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر: (٩))، والقرآن معجزة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الدائمة التي يتحدى بها الخلق إنسا وجنا.

(١) لويون جوستاف اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عامل زعيتر ، ماء أم مكتبة النافذة، العبرة ٢٠٠٩م (٢٥)

(٢) بنظر ندرة التهامي القرآن والمستشرقون مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافي تونس ١٩٨٥م (٤٦)

المبحث الأول

الرد على افتراءات لوبون حول مصدر القرآن

المطلب الأول

زعمه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تلقى القرآن من راهب نسطوري

يقول لوبون في سياق حديثه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وسفره مع عمه أبي طالب وتقول القصة إن محمدا سافر مع عمه إلى سورية مرة، وتعرف في بصري براهب نسطوري في دير نصراني، وتلقى منه علم التوراة)[١].

وفي سياق حديثه عن تولى النبي – صلى الله عليه وسلم – أمور تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها يقول: تهيأ له السفر إلى سورية بذلك، والاجتماع مرة ثانية بالراهب الذي أطلعه على علم التوراة سابقا[٢].

هذه القرية وأمثالها ليست جديدة؛ فقد قال بها المشركون زمن تنزل الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – : يقول الله تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أَعجمي وهذا لسان عربي مبين) (النحل: (١٠٣) لقد عميت بصائر المشركين وهم أهل الفصاحة والبيان؛ فادعوا تارة أن النبي صلى الله عليه وسلم – يتعلم دينه من حداد رومي، وتارة أنه يتعلم من راهب نصراني؛ عنادا واستكبارا؛ فلا ريب في أن يردد هذه القرية وأمثالها الأعاجم من المستشرقين ومن تبعهم، أمثال لوبون ويرد عليهم بالآتي:

ذكرت بعض كتب السيرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد لقيه وهو ابن تسع سنين، وقيل: ابن اثني عشرة سنة، ولمرة واحدة، وكان معه عمه أبو طالب فرى الراهب النبي – صلى الله عليه وسلم – فعرفه بصفته المذكورة في كتب أهل الكتاب فبشر أبا طالب بأن لابن أخيه شأن عظيم، وحذره من اليهود فإنهم أن علموا بأمره بطشوا به [٣]، فعلى فرض صحة هذه القصة؛ فليس من المقبول عقلا أن يتلقى . طفل صغير تعاليم دين بأكمله؛ فعمره لا يؤهله تحمل الرسالة، وخلال زيارة قصيرة لا تتعدى فترة تناول الطعام، كيف له أخذ القرآن من رجل غريب مع

---

(١) لوبون، حضارة العرب (١٠٢)

(٢) لوبون المصدر نفسه، (١٠٣).

(٣) ينظر: ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق المبدأ والمبعث والمغازي، تحقيق: محمد حميد الله، مبعد الدراسات والأبحاث للتعريب، مطبعة محمد الخامس، فاس ١٩٧٦م، (٥٥٣) وينظر : المباركفوري صفى الدين الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبه الفضل الصلاة والسلام، دار ابن خلدون الاسكندرية، (٤٥).

العلم أنه لم يلتق به وحيدا، ولا سرا في خفاء ؟[١]وأما عن رحلته الثانية والأخيرة إلى الشام في شبابه [٢]؛ فقد كان يرافقه فيها معاونه ميسرة؛ غلام السيدة خديجة رضي الله عنها، ولم تذكر كتب السير أنه لقي بحيرا أو جلس يتتلمذ على يديه أو على يد أحد من الرهبان، ولا كلم أحدهم أصلا؛ بل إن الرواية تذكر أن راهبا قد بشر ميسرة بأن لصاحبه أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم – – شأن عظيم، ومضى كل في طريقه بعد أن باع النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سلعته التي خرج لأجلها، ولم يمكث طويلا في الشام)[٣].

إذن ليس في الرواية ما يؤيد ما افتراه لوبون وغيره؛ من أن النبي لقي راهبا في الشام، وأخذ عنه القرآن، وتعاليم الإسلام.

وبما أن أساس الإسلام التوحيد؛ هل يعقل أن يلقن راهب نصراني النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يهدم الديانة النصرانية؛ فقد أنكر النبي عليه السلام أن يكون الله ولد، وقد جاء بما يخالف عقيدة النصارى في ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام وأمه مريم [٤]؟!

ولو سلمنا أن بحيرى لقن النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن أو تعاليم الإسلام؛ لماذا لم يجهر بحيرى نفسه بتلك التعاليم؛ لتكون له السيادة، وليخلده التاريخ، أليس هو أحق بهذه الدعوة طالما أن التعاليم القرآنية تلك من إملائه ؟!

ولو سلمنا أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تتلمذ على يد راهب نصراني؛ لعلم بذلك أهل مكة، وخاصة الأعداء والمخاصمين، ولاستخدموه سلاحا في وجهه كلما قال لهم هذا القرآن من عند الله، وأنا رسوله؛ لردوا عليه بأنه من إملاء فلان وفلان .... ولكن هذا لم يحصل ألبتة، وليس في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا ما يفند مزاعم هؤلاء المستشرقين[٥].

إن لمدقق النظر أن يدرك بأن الراهب بحيرى قد قضى نحبه خلال الفترة الممتدة ما بين الرحلتين؛ فلقد رأى النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – طفلا، بينما كان هو طاعن في السن؛ فكيف

---

(١) ينظر: شلبي، عبد الودود التزوير المقدس، ط١، ام، دار الشروق القاهرة، ١٩٨٥م، (١٠٣)؛ وينظر: نصري آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم (٨٦)

(٢) ينظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ١٧ ام، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٨م، (٤٥-٤٦)

(٣) ينظر: ابن إسحاق سيرة ابن إسحاق (٥٩-٦٠).

(٤) ينظر : شلبي، رؤوف، أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية الكتب المصرية، بيروت، (١٥١ ١١٥٦ وينظر : شلبي، عبد الجليل عبده، صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية السنة العاشرة، الكتاب الأول، ١٩٧٨م، (٦٣) وينظر : بني عامر محمد أمين المستشرقون والقرآن الكريم، طا، ام، دار الأصل، الأردن.٢٠٠٣م (٢٤٨)

(٥) ينظر : إسماعيل محمد الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل علمي لدراسة الاستشراق، ط٣، ام، دار الكلمة ٢٠٠٠م (١٩٩).

يبقى على قيد الحياة بعد مرور خمسة وعشرين عاما؛ إلى أن سافر النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحلته الثانية ... وكيف تلقى عنه العلم وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ؟ (١).

وماذا عن الإعجاز الذي تميز به القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية والذي تحدى النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – به جميع الخلق؛ إنسا وجنا؛ أيعقل أن يكون من تأليف بشر ؟

أين لوبون ومن قال بفريته من قول الله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى) (النجم: ٣ – ٥) .

كل هذه أسئلة وغيرها يعجز المستشرقون المفلسين – أمثال لوبون عن إجابتها ؛ لأنها تثبت بطلان مزاعمهم، والحمد لله.

المطلب الثاني

زعمه أن أصل القرآن من الكتب المقدسة

هذه فرية أخرى يرددها لوبون، تابع فيها أساتذته ومعلميه المستشرقين؛ أمثال المستشرق الكبير نولدكه (٢).

يقول لوبون في حديثه عن خلاصة القرآن: وتقرب فكرة الكون الفلسفية في القرآن مما في الديانتين الساميتين العظيمتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام؛ أي اليهودية والنصرانية ... (٣).

ويقول أيضا ومحمد لم يزعم أنه كتب من أجل الفلاسفة، وكان من مقاصد محمد أن يقيم دينا سهلا يستمرنه قومه، وقد وفق لذلك حين أخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم (٤).

ويقول: "إنني أبدأ أي الحديث – بما جاء في القرآن عن مصدره وعن قرباه الوشيجة بالكتب المقدسة التي أنت قبله ..... (٥).

---

(١) ينظر: الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، طاء م، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، (١/٢٨٣) .

(٢) نولدكه: ولد في هاربوج سنة (١٨٣٦م) من أسرة عريقة شغل أفرادها مناصب علمية وإدارية كبيرة، تعلم السريانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، قال الدكتوراه واستكمل دراسته في ليدن وبرلين شغل مناصب علمية كثيرة، أتقن العربية واشتهر بحسن الخلق وسعة العلم، توفى عن عمر ٩٤) سنة (١٩٣٠م)؛ بنظر بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين ، ام دار الملايين، بيروت ١٩٩٣م، (٥٩٨٥٩٥) وينظر : مراد يحيى، معجم أسماء المستشرقين موقع كتب عربية (١٠٥٣–١٠٥٦)، وينظر نولدكه تاريخ القرآن ترجمة جورج تامر، ٢٥ ام دار نشر جورج المز، نيويورك، ٢٠٠٠م، (٧–٩، ١٨)

(٣) لوبون، حضارة العرب (١١٧)

(٤) لوبون، المصدر نفسه، (١١٨)

(٥) لويون، المصدر نفسه، (١١٩)

ويضيف: "وما جاء في القرآن من نص على خلق السماوات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها ويوم الحساب مقتبس من التوراة[١] .ويقول في سياق حديثه عن فلسفة القرآن: إذا رجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسة؛ أمكننا عد الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية، ومع ذلك فإن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول ولا سيما في التوحيد المطلق... [٢].

المطلب الثالث

زعمه أن أصل القرآن من عند النبي – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

يرى لوبون بأن القرآن الكريم من إنشاء النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومن بنات أفكاره، وتفاعلات نفسه؛ لما ابتلي به من هوس؛ حاشاه – صلَّى اللهُ عَلَيْه وسلم. يقول: "لم يتكلم محمد عن بعثته إلا بعد بلوغه الأربعين من عمره، فبعد أن كان قائما يتحنث على جبل حراء الذي يبعد ثلاثة أميال عن مكة، مثل ما كان يفعل في كل سنة، جاء خديجة ممتقعا وأخبرها، كما روى مؤرخو العرب، بأنه بينما كان تانها في الجبل إذ سمع جبريل يقرع أذنيه بقوله : (اقْرَأْ باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسان ما لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ١) – (٥) يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، كما أخبرها بأن هذا كلام إلهي وبأنه يشعر في نفسه بقوة نبوية [٣]

ويقول في سياق حديثه عن بعض العوارض التي تعتريه وقت نزول الوحي كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان، وإذا عدوت هوس محمد، ككل مفتون ، وجدته حصيفا سليم الفكر. ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولوا الهوس وحدهم، لا ذوو المزاج البارد من المفكرين، هو الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس... ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يقود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر ... ومحمد كان يجد في هوسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق[٤].

ويقول أيضا: ولم يخبرنا التاريخ عن سيرة محمد في السنين الخمس عشرة التي انقضت بعد زواجه بخديجة، ويفترض، وإن لم يقم دليل على ذلك، أنه كان يفكر في أثنائها في مبادئ دينه

(١) لوبون، المصدر نفسه، (١٢٠)

(٢) لوبون حضارة العرب (١٠٣)

(٣) لوبون حضارة العرب (١٠٣)

(٤) لوبون المصدر نفسه، (١١٤).

الذي سيكون زعيمه، ولم يبد منه في تلك السنين حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ فكيف لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين –يديه، ولا من خلفه أن يكون من عند غير الله؛ مقتبسا أو متأثرا باليهودية أو النصرانية؟ أو كيف يقاس بديانات وثنية؛ مثل الهندوسية، والتي لا تمت للفطرة بصلة، ولا يقبلها عقل ولا منطق [١].

إن من فات هؤلاء المستشرقين أنهم ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال الكتاب المقدس الذي بين أيديهم، بشقيه العهد القديم والجديد، الذي نالت منه الأيدي العابثة، وحرفت فيه ما حرفت، ويزنون القرآن المعجز بميزان كتبهم.

نفور من عبادات العرب مع ذلك، كما لم يقع فيها ما يدل على تفكيره في قلب تلك – العبادات رأسا على عقب[٢].

إن الحقيقة التي لا شك فيها أنه لم يكن في خلد النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أمر الوحي ولا النبوة، وكان لا يلتفت إلى أمور قيادة قريش بل كان جل اهتمامه منصبا على رعي الغنم وتجارة السيدة خديجة، وكان منذ صغره ميالا إلى الوحدة تواقا إلى العزلة، مبتعدا عن جهالات قومه ووثنيتهم [٣]، ولو كان مستعدا لأمر الوحي لما خاف وارتعدت فرائصه عندما زاره جبريل في الغار أول مرة، ولما هب إلى السيدة خديجة فرعاء يقول: "زملوني ... زملوني"!

وإن الحالة التي تتلبس النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – عند نزول الوحي عليه من شأنها أن تسهل عملية الالتقاء والتعليم بين سيدنا جبريل صاحب الجبلة الملائكية، وسيدنا محمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الجبلة البشرية[٤] ولكن لوبون وأمثاله من المستشرقين يصفون هذه الحالة بالهوس والجنون والاضطرابات النفسية؛ لأنهم ينكرون الوحي المحمدي أصلا؛ يقول نولدكه كبير المستشرقين: فمن الضروري أن نصف ما كان يغشاه أي محمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بحالة من الاضطراب النفسي الشديد، ويقال أن محمدا كان يعاني منها منذ حداثته[٥].

لم يكن النبي – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعا من الرسل، ولم يكن الوحي الذي نزل على الرسل من قبله مختلفا عن الوحي الذي أنزل عليه؛ يقول الله تعالى – : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ والنبيين من بعده وَأَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وإسماعيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانِ واتينا داوود زبورًا) (النساء: (١٦٣).

(١) ينظر: أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان، (١٤٨–١٤٩).
(٢) لوبون المصدر نفسه (١٠٣)
(٣) ينظر نصري آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن (١١٢–١١١)
(٤) ينظر : نصري آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن (١٢٠)
(٥) تاريخ نولدكه في القرآن (٢٤)

إن هذه القرية التي رمى بها النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بيئة البطلان –فالهوس في اللغة العربية – إن صحت الترجمة – هو الطرف من الجنون، وهي كلمة تقال لمن تدور في نفسه وأفكاره أمور غير واضحة، وتظهر بانفعالات مختلفة(١) ، فكيف تنطبق هذه الصفة على من عرف قبل البعثة وبعدها بسمو خصاله ورجاحة عقله وذكائه، ورفعة أخلاقه؟

لما جاء الوحي النبي – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هب لتأدية رسالته كما أمره الله تعالى؛ فهل يعقل أن يقاس النبي – صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالمرضى النفسيين، ومن في عقولهم خلل أو خبل؟ حاشاه – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

إن نصوص القرآن الكريم تدل بدون شبه على أن هذا القرآن من عند الله تعالى، أوحاه للنبي الأمي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بواسطة جبريل الله، وليس للنبي – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يد في تنسيقه وتأليفه لا من قريب ولا بعيد؛ يقول الله تعالى : (وإذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنا بينات قَالَ الَّذينَ لا يَرْجُونَ لقَاءَا انت بقرآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ قُلْ مَا يَكُون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أُتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (يونس: ١٥).

ولو أراد النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – جدلا – أن يؤلف آية، أو يضيف لفظة، أو حرفا؛ فإن الله – تعالى – توعده بعذاب شديد؛ يقول سبحانه: (لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحد عنه حاجزين) (الحاقة: ٤٤ – ٤٧)

يقول لوبون في سياق حديثه عن دعوة النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : كان محمد يقابل ضروب الأذى والتعذيب بالصبر وسعة الصدر، وكان كل يوم يجتذب أصحابا آخرين ببلاغته، والتجأ محمد إلى عمه أبي طالب ذي الجاه الكبير راغبا في السلامة (٢).

ولو سلمنا – جدلا – للوبون وأمثاله أن النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جاء . بالقرآن والإسلام من عند نفسه؛ فكيف لأمي لا يعرف القراءة والكتابة أن يأتي بكتاب معجز فيه أنباء أمم سابقة، وأخبار مستقبلية(٣) كيف يأتي بما عجزت عن الإتيان ببعضه أو بمثله العرب الذين شهد لهم التاريخ بعلو كعبهم، وطول باعهم في الفصاحة والبلاغة(٤) ؟

وكيف له أن يجعل لموهبته الأساسية التي كان يملي فيها القرآن أساليب متعددة؛ فتارة تكون قرآنا، وتارة حديثا قدسيا، وتارة حديثا عاديا؟ إن هذا خارج عن طاقة البشر (٥).

---

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت) ٧١١ هـ)، لسان العرب، ٣٥، ١٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٩٩٩م، (١٥/١٥٩).

(٢) ينظر: أبو خليل غوستاف لوبون في الميزان (٦٣).

(٣) ينظر : بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، (٢٢٥–٢٢٦).

(٤) ينظر: المطعني، افتراءات المستشرقين على الإسلام (٣١–٣٢)

(٥) ينظر: بني عامر، المصدر نفسه، (٢٢٠)

ونضيف على ما سبق أن هناك مواقف سجلها القرآن الكريم تدل على أن هذا القرآن مصدره إلهي، والنبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بريء من فرية تأليفه وإنشائه منها :

أولا: حادثة عتاب الله النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ابن أم مكتوم في سورة عبس يقول سبحانه: (عَبَس وَتَوَلَّى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصدى(١) وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزْكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تلهى) (عبس: ١ – ١٠) هل يعقل أن يعاتب شخص نفسه بهذه الطريقة، وأن يسجل هذا الموقف في كتاب يقرأه الناس إلى يوم الدين؟

ثانيا: حادثة الإفك التي ابتلى الله تعالى بها بيت النبوة الشريف؛ فلو كان القرآن من عند النبي – صلى الله عَلَيْهِ وسَلَّم – لتلا على الصحابة آيات تبرئ أهله في زمن وقوع الحادثة، ولما ترك السيدة عائشة رضي الله عنها – أحب زوجاته إليه صابرة على ما رميت به من زور وبهتان، ولما انتظر أياما – نزول الوحي عليه ولاتة النور التي تبشر ببراءة السيدة عائشة – رضي الله عنها .

المبحث الثاني
الرد على افتراءات لوبون حول نزول القرآن وأسلوبه

يتهم لوبون القرآن الكريم بأنه قليل الارتباط، ضعيف السبك، واهي البنيان متنافر السياق؛ يقول :

القرآن هو كتاب المسلمين المقدس ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم، وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع أنه أنزل وحيا من الله على محمد، وأسلوب هذا الكتاب، وإن كان جديرا بالذكر أحيانا، خال من الترتيب فاقد السياق كثيرا، ويسهل تفسير هذا عند النظر إلى كيفية تأليفه، فهو قد كتب تبعا المقتضيات الزمن في الحقيقة، فإذا ما اعترضت محمد معضلة؛ أتاه جبريل بوحي جديد حلا لها ودون ذلك في القرآن(١).

ويقول أيضا: وإنني أنقل من القرآن بضع آيات في كل موضوع مهم وأرتب ما نقلته من آياته على حسب الموضوعات؛ نظرا إلى أن ما ورد من الآيات في الموضوع الواحد مبعثرة فيه اتفاقا (٢)؛ ثم يسوق آيات من القرآن الكريم يظن أنها دليل على كون القرآن مقتبسا من الكتب المقدسة، وقد سبق الرد عليه. يظن لوبون وجود تفكك في السياق القرآني، ويعزو ذلك إلى أنه نزل تبعا لمقتضيات الأحداث والمواقف التي كان يمر بها محمد – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .مما لا شك فيه أن المستشرقين عموما يحاولون من خلال الشبهات والافتراءات إثبات أن القرآن بشري من إنشاء النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (٣)، ويودون إثبات أنه متناقض السبك، وأن مؤلفه تعرض لمواقف وظروف متباينة أثرت في نمط تفكيره وطريقة كلامه، متناسين الأمانة العلمية والدقة الموضوعية التي يتشدقون بها)(٤).

ثالثا: زواج النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزينب بنت جحش زوجة زيد . بن حارثة؛ إذ أمر الله تعالى إبطال عادة التبني التي كانت شائعة في الجاهلية؛ فأمر النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم – أن يتزوج السيدة زينب رضي الله عنها – يقول تعالى: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لكي لا يكون على المؤمنين خرج في أزواج أَدْعِيَائِهِمْ إذا قضوا منْهُنَّ وَطَرًا وكان أمر الله مفعولاً) (الأحزاب: (٣٧)، تقول السيدة عائشة رضي الله

(١) لوبون، حضارة العرب (١١٧).

(٢) لوبون، المصدر نفسه، (١١٨).

(٣) وقد تسنى في هذه الدراسة رد مزاعمهم في ما سبق ينظر: المطلب الثالث من المبحث الأول.

(٤) ينظر: نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن (١٨١)

عنها – : لَوْ كَتَمَ رَسُولُ الله – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شَيْئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِن كتاب الله لكتم [١](١) في هذه الآيات دليل على أن القرآن ليس من عند الله تعالى، وفي هذا إبطال للفرية التي ادعاها لوبون في قوله: وأطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى أنه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية فوقه في قلبه منها شيء، فسرحها بعلها ليتزوجها محمد، فأوحى إلى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا، آيات تسوغ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت.[٢] ، حاشاه – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن يسوغ لنفسه فعل الباطل بآيات يؤلفها، ويتلوها على مسامع أصحابه، وحاشا سيدنا جبريل أن ينطق بما لم يأمره الله به؛ يقول تعالى : (وما ينطقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (النجم: ٣ – ٥).وبعد هذا كله يعجب المرء مما قاله لوبون في ختام حديثه عن حياة سيدنا محمد – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، والافتراءات التي رماه بها؛ يقول: "وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمد مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين من الاعتراف بفضله [٣]؛ ليس بغريب على لوبون وأمثاله أن ينتهج التسلل الفكري في كتابه؛ فبعد أن رمى النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأقبح التخرصات؛ ختم حديثه بمدحه والثناء عليه

وفي الصفحات الأخيرة من كتابه، يعترف لوبون بأن القرآن مصدره إلهي ولكنه يجعله السبب الرئيس في انحطاط العرب؛ يقول: وعادت نظم القرآن التي كانت عنوان احتياجات العرب زمن محمد، لا تكون هكذا بعد بضعة قرون، والقرآن إذ كان دستورا دينيا ومدنيا وسياسيا في آن واحد، وكان لا يتبدل بسبب مصدره الإلهي؛ تعذر تعديل أحكامه الأساسية [٤].

فهنا يتهم لوبون القرآن بعدم صلاحيته للعصور التي تلت عصر التنزيل، وأنه جامد الأحكام بسبب مصدره الإلهي، وأنه ساهم بانحطاط حضارة العرب، ولكن الواقع يكذبه؛ فلو نزل القرآن الكريم في هذا العصر ؛ حيث التقدم العلمي، والازدهار العظيم الذي يشهده العالم؛ لما تغيرت نظرته إلى الإنسان والكون، ولما تبدلت منه كلمة واحدة، ولما اختلفت وصاياه التربوية والروحية للإنسان، لأنه وحي من الله تعالى[٥] .

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت) ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ١٥ ٢٦م، تحقيق: عبد الله التركي) مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر القاهرة، ٢٠٠١م (١١/١١٧)

(٢) لوبون، حضارة العرب (١١٢)

(٣) لوبون حضارة العرب (١١٦).

(٤) ينظر: أبو خليل شوفي الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ٢٥ ام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، (١٢).

(٥) لوبون المصدر نفسه (١٠٨)

وبعد؛ فإن افتراءات لوبون وغيره من المستشرقين لن تصمد أما حقيقة إلهية القرآن؛ وهذه الفرية ليست حديثة بل لقد قال بها الكافرون زمن تنزل الوحي، يقول – عز وجل : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ من قبلك لعلهم يهتدون) السجدة:(٣).

إن القرآن الكريم في الحقيقة مرتب ترتيبا توقيفيا من الله تعالى؛ وهذا الترتيب بحد ذاته إعجاز ؛ فمجيء السورة بعد سابقتها دليل على ترابط وإحكام العلاقة بين السورتين، وما من لفظ في آية أو سورة إلا واتخذ موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه؛ إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة [١]، فكل سورة من سور القرآن تحتوي آيات مترابطة منسجمة فيما بينها، وهذه العلاقة – علاقة الانسجام – تعلل ترتيب الآيات وتسلسلها في حدود السورة الواحدة، وكذلك السور القرآنية توجد هناك علاقة فيما بينها من حيث المعنى والمقصد؛ فكل سورة ترتبط بما قبلها وبما بعدها من السور بعلاقات وثيقة تتجلى للقارئ بالتأمل [٢].

لم تترتب سور القرآن وآياته على حسب طول وقصر الآيات، ولا بحسب المواضيع، ولا بحسب الأحداث التاريخية، ولا بحسب التطور التدريجي للأسلوب والأفكار ؛ كما ادعى نولدكه وتلاميذه[٣] ، ولا يحسب نزول الآيات، لم يترتب القرآن وفق أي كيفية قد يقترحها عقل بشر؛ لأنه ترتيب توقيفي من عند الله تعالى، لا من لدن محمد – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – ؛ يقول الإمام الزركشي رحمه الله : وهذا الترتيب كان منه – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتوقيف لهم على ذلك وأن هذه الآية عقب تلك الآية فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا كما قال الله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (البقرة: (١٨) ، وقال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ في ليلة القدر) (القدر : (١) ثم كان ينزل مفرقا على رسول الله – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة حياته عند الحاجة كما قال تعالى : (ولا تدع من دون الله ما لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِن . الظالمين) (الإسراء: (١٠٦) ؛ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة، وكان هذا الاتفاق من الصحابة سببا لبقاء القرآن في الأمة ورحمة من الله على عباده

(١) الخطابي، حمد بن محمد (ت) (٣٨٨هـ)، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، طبلا، ام (تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، مصر، (٢٦).

(٢) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١) هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ط م (تحقيق مركز الدراسات القرآنية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة ١٤٢٦هـ، ج ٥ ، (١٨٤٦)؛ وينظر : عباس فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير (٣٧–٣٨) و ينظر: الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (٣١٤)

(٣) ينظر نولدكه، تاريخ القرآن (٨٢)

وتسهيلا وتحقيقا لوعده بحفظه كما قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩ وزال بذلك الاختلاف واتفقت الكلمة [١].

إذا فترتيب القرآن الكريم ليس عبثيا كما يظن المستشرقون؛ جهلة كانوا أو مغرضين؛ وليس خاضعا لنزوله منجما على النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؛ فإنه كان ينزل أحيانا وفق الحوادث والمناسبات، وأحيانا أخرى ينزل مراعيا إصلاح النفوس الإنسانية وفق منهج رباني خاص.

في نزول القرآن منجما حكم كثيرة، قد لا ندرك بعضها ؛ فمن هذه الحكم ما يتجلى في قوله تعالى : (وَلا تَدْعُ من دون الله ما لا ينفعك ووَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ) (الإسراء : ١٠٦) ؛ أي ليقرأه النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلَّم على مهل؛ ليرسخ في عقول أمته وأفئدتهم، ويقرأه الصحابة فيتسنى لهم حفظه في الصدور قبل السطور ؛ مما يحدث تجاوبا بين الوحي والرسول – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ من جهة؛ في صورتين[٢] ؛ الأولى: تثبيت فؤاده بما يتجدد نزوله من القرآن بعد كل حادثة، والثانية: تيسير حفظه عليه؛ فهو أمي لا يحسن القراءة ولا الكتابة ومن جهة أخرى يحدث تجاوبا بين الوحي والمؤمنين؛ إذ ينزل بأحكام وتشريعات من شأنها أن تسوس وتنظم حياتهم.

ويعتبر تنزيل القرآن منجما دليل على أنه من عند الله تعالى؛ فهو شهادة ناطقة بالإعجاز حتى تأتي الآية أو الآيات الجديدة لتوضع بأمر الله تعالى إلى جوار الآيات السابقة بالنزول ولو كانت منذ سنتين؛ فإذا بهن مناسبات متناسقات وهو دليل على أن القرآن ليس من عند النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؛ إذ يبقى النبي في حالات متعددة منتظرا يترقب نزول الوحي عليه؛ قال تعالى : (وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (النجم:٣٥)[٣]

ويكفينا في هذا السياق رد الله على الكافرين الذين ألفوا إلقاء القصيدة جملة واحدة، وسمعوا بأن التوراة نزلت جملة واحدة اقتراحهم بإنزال القرآن جملة واحدة؛ يقول سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كذلك لنُثَبِّت به فُؤَادَكَ وَرَتَّلناه ترتيلاً) (الفرقان: (٣٢).

ثم إن في نزول القرآن الكريم منجما تفخيما لأمره، وأمر من نزل عليه – صلى الله عليه وسلم – ، وتمييزه عن سائر الكتب السماوية السابقة؛ لهذه الحكم وغيرها استمر نزوله الكريم على

(١) الزركشي، بدر الدين محمد (ت) (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن ٢ م منشورات المكتبة العصرية، بيروت (١٤٤/١)

(٢) ينظر أبو شامة، شهاب الدين المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ط١، ام دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، (٤٥) وينظر: الصالح، مباحث في علوم القرآن (٥٢).

(٣) ينظر: الغزالي، مشتاق بشير القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ط١، ام دار النفاس، بيروت، ٢٠٠٨م،(١٤–٦٥)

قلب النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – طيلة سنوات الدعوة[١] اتصلت فيها هدايات السماء بالأرض.

لو أدرك لوبون وغيره من المستشرقين هذه الحقائق والحكم؛ لما اتهموا القرآن بالتفكك، والتشتت، وضعف البنية.

ثم يتابع لويون حديثه السابق؛ ولكنه يقع في التناقض؛ إذ يقول: ويعد العرب القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان، ومع ما في هذا من مبالغة شرقية؛ نعترف بأن في القرآن آيات موزونة رائعة لم يسبقه إليها كتاب ديني آخر [٢]، يمكننا تفسير اعترافه هذا بما في القرآن من توازن في آياته الكريمة؛ بعد أن نفى عنه ترابط السياق، وترتيب الموضوعات بالتسلل الفكري الذي استخدمه كثيرا في كتابه ليجمل الشبهات، ويلطف وقعها على نفس المتلقي؛ لتشعره بعدل المؤلف وإنصافه !!

لقد أجمع العرب والعجم على أن القرآن الكريم أبلغ كتاب عرفته البشرية ولقد شهد له بذلك كفار قريش أنفسهم منهم النابغة العربي الوليد بن المغيرة إذ نقل لنا التاريخ قوله عندما سمع القرآن: والله ما مِنكُمْ رَجُلٌ أَعْلَم بالأشعار مني، ولا أعلم.

(١) ينظر: أبو شامة المرشد الوجيز (٤٢) وينظر الصالح، مباحث في علوم القرآن (٤٩–٥٠)؛ وينظر : الماني الاستشراق والدراسات الإسلامية (٦٩).

(٢) لوبون، حضارة العرب (١١٧)

المبحث الثالث

الرد على اتهام لوبون القرآن بالجبرية

يلمح لوبون في حديثه عن خلاصة القرآن في الفصل الثاني؛ أن القرآن الكريم فيه جبر كما في الكتب السابقة؛ ويستشهد لذلك بآيات منه؛ هي في الحقيقة دليل بين على فساد كلامه، وسقوط ادعائه؛ يقول:

ولم أجد في القرآن ما يعاب به الشرقيون، وما يمكن أن يعاب به، كذلك، كثير من العلماء المعاصرين من الجبرية المزعومة؛ فيجوز أن يُعد به محمد أكثر جبرية مما في التوراة، وإليك مع ذلك ما استطعت أن أجده جوهريا في القرآن حول هذه المسألة:

وما تتَشاءُونَ إلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير : (٢٩)

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور) (آل عمران : ١٥٤)

(هُوَ الَّذي خلقكم من طين ثُمَّ قَضى أجلاً وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تمترون) (الأنعام:(٢)

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) .(الأعراف: (٣٤)

مَا تَسْبِقَ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) (المؤمنون: (٤٣)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتينا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالم الغَيْبِ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا في كتاب مبين) (سبا: (٣)

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمرُ مِن مُعمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) (فاطر: (١١)

١٨يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا – يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (نوح: (٤) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّشيء عليم) (التغابن: (١١) (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنَ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيم خليلاً) (النساء: ١٢٥)[1].

ثم يقول في سياق حديثه عن فلسفة القرآن الكريم وليس فيما يوصم به الإسلام من جبرية ما يزيد خطرا على ما رددنا عليه وليس في آي القرآن التي ذكرناها آنفا من الجبرية ما ليس في كتب الأديان الأخرى كالتوراة مثلا... وكتب جميع الأمم الدينية مفعمة بالجبرية، ووضع الناس القدر الذي لا راد لحكمه على رأس كل أمر عادين إياه سلطة مطلقة لا مناص للناس والآلهة من

(١) لوبون حضارة العرب (١٢٤).

إطاعتها .... ولقد كان العرب جبريين بمزاجهم قبل ظهور محمد فلم يكن لجبريتهم تأثير لارتقائهم، كما أنها لم تؤد إلى انحطاطهم [١].

نظر لوبون إلى القرآن من خلال عين واحدة؛ إذ استشهد بالآيات الدالة على أن الأمر الله وحده، وأن الله هو المتصرف بالأمور، وبيده مقاليد السماوات والأرض ولكنه لم يلتفت للآيات التي تثبت للإنسان قدرة وتصرفا، وأنه مسؤول عن اكتسابه للأفعال.

الحقيقة أن هذه المسألة قد بحثها المسلمون، واختلفوا فيها[٢] ، وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا بالقدر ؛ لأنه ركن من أركان الإيمان، وقالوا بعدل الله ومشيئة الإنسان، وكسبه واختياره منسجمين بقولهم هذا مع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة؛ إذ وردت آيات وأحاديث تثبت الله المشيئة، والتصرف في ملكوت برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الْجِنِّ، وَالله مَا يُشبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا من هذا ..

وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحتَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى ...

فبماذا تضرنا افتراءات المستشرقين الأعاجم بعد شهادة العرب الأقحاح ببلاغة القرآن وإعجازه؟!

السماوات والأرض، وأخرى تثبت للإنسان كسبا واختيارا؛ يقول الله تعالى – في إثبات الإرادة للإنسان (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لنفسه وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بوكيل) (يونس: (١٠٨)؛

أثبت لهم حرية اختيار الهدى أو الضلال.

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا للظالمين نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشراب وَسَاءَتْ مُرتفقا) (الكهف:(٢٩)

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:(٦٩)؛ وهذه الآية تثبت الإرادة للإنسان؛ إذ المجاهدة صيغة مبالغة في بذل الجهد.

(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد: (١٧))؛ فالرجوع يحصل من العباد أولا، والهداية من الله تتبعه.

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (الملك: (١٥)) ؛ فأسند لهم إرادة المشي والأكل.

ومن الأحاديث الشريفة؛ ما رواه علي ؛ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة؛ فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة،

---

(١) لوبون، المصدر نفسه، (١٢٩).

(٢) وليس هذا مقام بسط اختلافاتهم رحمهم الله جميعا بنظر الملكاوي محمد وآخرون، عقيدتنا الإسلامية، ط١، ام.

الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م، (٤٥٠-٤٥٤).

قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال: "اعملوا فكل ميسر؛ أما أهل السعادة فييسرون العمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ: (وصدق بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل : ٥ – ١٠) [١].

وأيضا قول النبي – صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : عن عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم، قيل: فقيم يعمل العاملون؟ قال : كل ميسر لما خلق له[٢] .

وقوله – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقي عليهم من نوره؛ فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله ؛ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن[٣] ، وغيرها.

وبعد؛ فكيف يلقي لوبون مثل هذه الفرية؛ دون تمحيص ونظر؛ وهو الأستاذ والعلامة والمؤرخ الذي يعلم أهمية الدقة الموضوعية، والأمانة العلمية في البحث ؟؟

ولو سلمنا – جدلا – لما قاله لوبون ؛ فكيف نفهم ما تقدم بسطه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت أن للإنسان إرادة، وأنه مسؤول عن ما يقترف من أفعال كبيرة كانت أو صغيرة؟

كأن لوبون بهذه التهمة يود إيجاد وجه شبه بين القرآن والكتب التي سبقته ويوجد علاقة بين النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومؤسسي الأديان من قبله؛ إذ كانت الأديان جميعها في نظره تصور الإنسان مجبورا، مقهورا، مسلوب الإرادة ولكن فريته هذه ما لبثت أن تهالكت أمام كتاب الله وسنة نبيه – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زيد بن ثابت ؛ وبحضور جمع كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا ما .تؤيده الروايات والآثار الثابتة[٤] ؛ ولكن يأبى لوبون وأمثاله إلا المغالطة والتدليس.

---

(١) مسلم بن الحجاج (ت) ٢٦١هـ)، صحيح مسلم متن شرح النووي حديث رقم (٢٦٤٧) كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الأدمي، طا، أم، تحقيق: عصام الضباطي وآخرون، دار الحديث، القاهرة (٨/٤٤٣) و (المخصرة): مأأحده الإنسان بيده واختصره من العصى أو العكار (نكس) طاطا رأسه إلى الأرض على هيئة المهموم، (بنكت)يخط بيده خطا يسيرا مرة بعد مرة.

(٢) مسلم، صحيح مسلم حديث رقم: (٢٦٤٩)، كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الأدمي، (٨/٤٤٥).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى (ت (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، ، رقم الحديث: (٢٦٤٢)،مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٧هـ (٥٩٦).

(٤) ينظر: الزركشي البرهان (١/٢٣٦٢٣٣))؛ وينظر : السواعدة، محمد محمود، جمع القرآن في كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني (تولدكه) عرض ونقد بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله السوالمة، والأستاذ الدكتور محمد المجالي، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك اريد (١٢٧–١٢٨)

ملخص البحث

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات منها :

١. إن كتاب لوبون (حضارة العرب) قد حظي بإعجاب كثير من العلماء وهو في الحقيقة كتاب مهم وخطير في آن معا؛ فهو مهم؛ لأنه يُعد من أوائل ما كتب المستشرقون في إنصاف الحضارة العربية، وهو خطير؛ لأنه لم ينصف العقيدة الإسلامية؛ فقد رماها بالعجز، وعدم القدرة على مواكبة مستجدات العصر و انتهج مؤلفه فيه التسلل الفكري؛ وهذه عادة المستشرقين في حديثهم عن القرآن.

٢. استغلال لوبون لكثير من الأحداث في حياة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : لبث الشبهات؛ مثل سفر النبي – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – إلى الشام في صغره، وزواجه من السيدة زينب رضي الله عنها – وغيرها.

٣.افتقار المستشرقين عامة، ولوبون خاصة إلى الدقة الموضوعية صلَّى اللهُ عَلَيْهِ والأمانة العلمية في أبحاثهم التي تدور حول القرآن الكريم والنبي وَسَلَّمَ – .

٤. إن لوبون يتلقف ما علمه أساتذته المستشرقين من افتراءات على القرآن؛ دون أن يستخدم عقله وعلمه في الوصول إلى حقيقة القرآن الكريم ومصدره

٥ – يحرص لوبون على إيجاد علاقات تربط بين القرآن والتوراة والإنجيل

ويحرص على إيجاد علاقة بين النبي – صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبله بإلقاء التهم الواهية الضعيفة التي توقعه في التناقض. ومؤسسي الأديان

٦. يعد نظر المستشرقين إلى القرآن الكريم من خلال الكتاب المقدس الذي بين أيديهم، بشقيه العهد القديم والجديد الذي نالت منه الأيدي العابثة، وحرفت فيه ما حرفت، ويزنون القرآن المعجز بميزان كتبهم من أعظم آفاتهم.

٧. عد كثير من العلماء لوبون من المستشرقين المنصفين المعتدلين ولكن هذه الدراسة كشفت عن عدة شبهات خطيرة قد اشتمل عليها كتابه (حضارة العرب)؛ وبناء عليه يمكننا أن نقول: إن حقيقة شخصية لوبون تقع بين احتمالين إما أنه جاهل أو مغرض؛ فأما الأول فمستبعد؛ لأنه كما عرفنا من ترجمته على درجة عالية من التعلم، والاطلاع على تاريخ العرب وما يتعلق بهم، وأما الاحتمال الثاني فهو الراجح؛ لأنه يملك كافة الوسائل التي تعينه على تبين حقيقة القرآن وعقيدة الإسلام؛ ولكنه أخفاها ودلس.

٨. أخيرا؛ توصي هذه الدراسة بتناول كتاب لوبون الموسوم بـ (حضارةالعرب بدراسة متأنية متعمقة ناقدة؛ تشمل جميع ما ورد فيه من أبواب وفصول.

قائمة المصادر والمراجع

١-أحمد محمد جمال (١٩٨٨م)، جوستاف ليبون وحضارة العرب.
مجلة التضامن الإسلامي.
٢-ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق المبدأ و المبعث والمغازي، تحقيق: محمد حميد الله معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٦م.
٣-إسماعيل محمد الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل علمي الدراسة الاستشراق، ط، ام، دار الكلمة، ٢٠٠٠م.
٤- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين ط٣، ام، دار الملايين بيروت، ١٩٩٣م.
٥-الترمذي، محمد بن عيسى (ت (٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: محمد الألباني، ط١، ام مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ.
٦- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط١، ٢م دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٧-الخطابي حمد بن محمد (ت) (٣٨٨هـ، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط بلا، ام، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر.
٨- أبو خليل، شوقي، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ط٢ ام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.
٩-أبو خليل شوقي غوستاف لوبون في الميزان، ط١، دار الفكر .؟ دمشق ١٩٩٠م.
١٠- الزركشي بدر الدين محمد (ت) ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن ام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٢م.
١١- السباعي، مصطفى الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم . دار الوراق
١٢- ستودارد، لوثروب حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض
تعليقات: الأمير شكيب أرسلان، ط٣ ٢م دار الفكر، القاهرة، ١٩٧١م.
١٣-السواعدة، محمد محمود، جمع القرآن في كتاب تاريخ القرآن)
للمستشرق الألماني (نولدكه) عرض ونقد بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله السوالمة، والأستاذ الدكتور محمد المجالي، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، إربد.
١٤ -السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ط١، ٧م تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ. ١٥

١٥- أبو شامة، شهاب الدين المقدسي (ت (٦٦٥ هـ)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، ط١، ام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٦- شلبي، رؤوف، أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية الكتب العصرية، بيروت.
١٧- شلبي، عبد الجليل عبده، صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية السنة العاشرة، الكتاب الأول، ١٩٧٨م.
١٨- شلبي، عبد الودود التزوير المقدس، ط١، ام دار الشروق القاهرة ١٩٨٥م.
١٩ -الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط١٧، ام، دار الملايين بيروت، ١٩٨٨.
٢٠ -الطبري، محمد بن جرير (ت) ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ط١، ٢٦م، تحقيق: عبد الله التركي)، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢١- بني عامر محمد أمين المستشرقون والقرآن الكريم، ط١، ام دار -الأمل، الأردن، ٢٠٠٣م.
٢٢- العاني، عبد القاهر الاستشراق والدراسات الإسلامية، ط١، ام، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠١م.
٢٣ -عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير .مجلة عالم الكتب.
٢٤. عبد الباسط بدر (١٩٨٠م)، حضارة العرب تأليف: غوستاف لوبون.
٢٥ العقيقي نجيب المستشرقون ط٤، دار المعارف، القاهرة.
٢٦ -الغزالي، مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ط١، ام، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٧- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ط، ام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م
٢٨ لوبون جوستاف اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر ، ط١، ١م، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٩م.
٢٩- لوبون غوستاف حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط، ام دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣٠- أبو ليلة محمد القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية، ط١، ام دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣١- المباركفوري، صفي الدين الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، دار ابن خلدون الاسكندرية.
٣٢ – مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين موقع كتب عربية.
مسلم بن الحجاج (ت (٢٦١هـ)، صحيح مسلم متن شرح النووي
ط، ام، تحقيق: عصام الضباطي وآخرون، دار الحديث القاهرة.
٣٤- المطعني، عبد العظيم إبراهيم، افتراءات المستشرقين على الإسلام
عرض ونقد، ط١، ام مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م.
٣٥- الملكاوي، محمد وآخرون عقيدتنا الإسلامية، ط١، ام الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
٣٦-ابن منظور، محمد بن مكرم (ت) ٧١١ هـ لسان العرب، ط٣، ١٨م،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
٣٧- نصري، أحمد، آراء المستشرقين الفنيين في القرآن الكلمازيم –
دراسة نقدية ، ط١، ام دار القلم، الرباط، ٢٠٠٩م.
٣٨- نقرة التهامي، القرآن والمستشرقون مناهج المستشرقين في
الدراسات الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافي، تونس، ١٩٨٥م.
٣٩- نولدكه تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، ط ٢، ١م دار نشر
جورج ألمز، نيويورك، ٢٠٠٠م.

References

Stand Al-Masader and Appeal
1-Ahammad Mohammad Jamal (1988), Jostaf Lebon Arab Ministry. Magazine
Guarantee of Islam.
2-Ibn Ishaq, Muhammad ibn Isaar (T ،(١٥١هـ :Ibn Ishaq Introduction
And Mohamed Al-Maghazi, Research: Mohamed Hamidullah Main Teachings of Arabic Movements, Published by Mohamed Al-Khams, Fes, India.
3-Ismail Mohammad Al-Astraq for Truth and Education, Education
Al-Darasat Al-Ashraq, TA, Am, Dar Al-Alma, 2000m.
4- Bedouin, Abdul Rahman, Eastern Institute 3, AM, Dar Al-Malain
Beirut, 1993m.
5-Al-Trim, Mohammed ibn Islam (T ،(٢٧٩ هـ) Sunn al-Trma, Research: Mohammed al-Albani, Vol.
6- Al-Hajj, Sasi Salim, Cash Address to Inclusion, Appearance to Inclusion
Published in Islamic Teachings, Volume 2, 2nd Dar Al-Muslim, Beirut,
7-Al-Khatabi Hammad ibn Muhammad (T) (388, from the Miracle of the Qur'an Supplementing Three Messages in the Miracle of the Qur'an, Ta Bla, Am, Search: Mohammed Khalif, Mafia Muslim)
8- Abu Khalil, Shoqi, was released in the Middle East by AM, Dar Al Fir, Beirut,
9-Abu Khalil Shoqi Ghostaf Lobon in Al-Mizan, 1, Dar Al-Fir. 1 Damascus 1990m.
10- Al-Zarrashi Badr al-Din Mohammad (T) Al-Brahan in the Knowledge of the Holy Qur'an, Presentations of the Modern School, Beirut,
11- Al-Sabai, Mustafa Alasharaq and share with us. Dar al-Vuraq
12- Stodard, Lothroub present, translated by: Ajaj Nowayz
Contacts: Al-Amir Shaib Arsalan, 32nd Dar Al-Fir, Cairo,
13-E-Al-Swaada, Mohammad Mahmoud, Collection of the Quran in the book History of the Qur'an)
14-To the German East (Nolda) Visit to Professor Abdullah Al-Sowalma, Professor Mohammad Al-Majali, Rasalat, Deputy Governor
إربد.
-Al-Suutai, Abdul Rahman ibn Abai Bar (1911), Lectures on Quran Studies, Vol. Publishing
Al-Mashaf Al-Sharif, Al-Manur, Eid٥ .

15- Abu Sham, Shahab al-Din al-Maqdadsai (T ،(٦٥ هـ) Al-Murshid Alujaiz
16- Related Sciences, Al-Aziz Library, Vol. 1, AM, Library of Science, Beirut,
Shelbai, Rauf, Young Christians in the Christian principles of the Assyrian writing, Beirut.
17- Shalbi, Abdel Jalil Abdeh, Eastern Wall, Majroud al-Islam
Sunnah of the Ashra, Al-Tab al-Awwal, 1978m.
18- Shalbi, Abd al-Waud al-Tzoir al-Maqds, 1, Amdar al-Sharoq, Cairo.
19 ،صلى الله عليه وسلم- morning, MBAHHT in the knowledge of the Qur'an ،ط١٧ ،um, dar al-malayin
Beirut, 1988.
20 - Al-Tabrai, Mohammad ibn Jarir (T ،(٣١٠ (Collection of Quran interpretation, Tamil, Search: Abdel Al-Taliz al-Marba, Arabia and Peace Without Hajj, Cairo،
21- Beni Amir Mohammad Amin Al-Mustasharqoun Wal Quran, Volume 1, Am Dar -
Al-Amal, Al-Radan, 2003m.
22- Al-Ani, Abdul Qahir Al-Astshiraq Waldrasaat al-Islam, 1, AM, Dar
Al-Furqan, Oman, 2001m.
23 - Abbas, Fazl Hassan, Quranic judge at the British Court, Dar
Al-Bashir .Magazine Writers.
24- Ḥ. Abdel Basit Badr (1980s), Arab translator: Ghustaf Lobon.
25- Al-Aqiqi Najib Al-Mustareqoun Ta, Dar Al-Mu'arf, Cairo.
26- Al-Ghazali, Mushtaq Bashir, Holy Quran in the Middle East, Vol. Am, Dar al-Nafais, Beirut, 2008m.
27- Ibn Fars, Abu al-Hussan Ahmad (T،(٣٩٥ه :
TA, Am, Dar Al-Haya'i Al-Taras al-Arabi, Beirut, 2001
28- Lobon Jostaf Al-Hood in the History of Al-Hizarat Al-Awlay, Translation: Justice
Zaytar, Volume 1, School of Enforcement, Al-Jijzat, 2009m.
29- Lubon Ghustaf Hazrat Al-Arab, Translated by: Adil Za'itar, Ta, Am
30-Darshan of the Arabic Book, Cairo, India.
Abu Laila Mohammad Quran from Al-Manzoor
Television, Vol. 1, Amdar Al-Nashar Loljamaat, Cairo,
31- Al-Mubarifurai, Safi al-Din al-Rahiq al-Makhtoum discussion on the Prophet's night at the Sahib of Fazl al-Peace be upon him, Dar Ibn Khaldun al-Assain.
32 - Murad, Yahya, Assembly of Eastern Names Arabic Book Place.

Muslim ibn al-Hajjaj (T), authentic Muslim text interpretation
33-TA, Am, Research: Essam al-Zabaati and others, Dar al-Hadith al-Cairo.
34-Al-Muttaini, Abdul Azim Ibrahim, Eastern Disturbances for Islam
35-Arad Vanqad, Vol. 1, Am Mattaba Wahba, Cairo, 1992m.
Al-Malawi, Mohammad and others of the Islamic Faith, Vol.
36- Ibn Manzoor, Muhammad ibn Makram (T) 711 Arabic language, 3, 18m, Dar al-Taras al-Arab, Beirut, 1999m.
37- Nasri, Ahmad, Eastern Reviews in the Qur'an -
Course of Quality, Vol. 1, Am Dar Al-Qalam, Al-Rabat, 2009m.
38- Silver of the East, the Qur'an from the East
Islamic Schools, Arab System for Training and Education, Tunisia, Ai.
39- The Birth of the History of the Qur'an, translated by George Tamer, Volume 2, 1st Publisher
George Alms, New York, 2000m.